خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

اليوم سأتكلم بإيجاز عن غزوات النبي ﷺ لنلاحظ شتى الجوانب من شخصيته وأُسوتَه في تلك الأوضاع. فقد رأينا في معركة بدر كيف هيأ اليسرَ والسهولة للأسرى، فقد قال الأسرى أنفسهم بأن الصحابة كانوا بحسب توجيه النبي ﷺ لهم بأن يحسنوا إلى الأسرى يقدِّمون لنا الطعام أفضل من طعامهم. ثم رأينا أيضا أنه ﷺ قد أطلق سراحهم على شروط سهلة جدا إذ كان فداء بعض الأسرى أن الذين يعرفون القراءة والكتابة فليعلِّموا الصحابة القراءة والكتابة. وكل ذلك لأنه ﷺ لم يكنْ يكنّ عداء شخصيا لأحد منهم، بل كانت حربه ضد أولئك الذين عزموا على القضاء على دين الله. وكان البعض يشتركون في جيش العدو مضطرين، فهناك عدة أمثلة من هؤلاء، فهم لم يكونوا يريدون قتال المسلمين بل كانوا مضطرين، فقدم لهم تسهيلات كثيرة، وأسلم كثير منهم لاحقا. ثم إن النبي ﷺ قد سنَّ القواعد والمبادئ للحرب، وراعى المعاهدات والمواثيق وعمل بها لأقصى حد. فلم يكن على شاكلة رجال العالم المعاصر حيث سنُّوا قوانين لا حصر لها وهم لا ينفذونها، فلهم معايير مزدوجة. أما النبي ﷺ فكانت حياته تفسيرا عمليا للقرآن الكريم حيث كان قد وَصف العدل وإرساء دعائم السلام من المبادئ الأساسية، فقد قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٨)

فكانت أسوتُه ﷺ في ضوء هذا التعليم شاملة وتقيم أسمى معايير العدل. فكيف كانت أسوته ﷺ في الغزوات. فإضافة إلى بدر سأتكلم عن بقية الغزوات والسرايا أيضا أي المهام العسكرية التي أرسل لها ﷺ الصحابةَ بقيادة غيره. على كل حال هذا تاريخ طويل قد يستغرق عددا من الخطب، فاليوم سأتكلم عن أُحد. هذه الحرب أيضا كان قد بدأها العدو بدافع نار عداوته كما أثبتت الأحداث، واضطُر المسلمون للدفاع عن أنفسهم، وقد ورد عن هذه الغزوة أنها اندلعت بعد سنة واحدة من معركة بدر

أي في شوال من العام الثالث الهجري يوم السبت، فالمؤرخون ومؤلفو السير متفقون على أن غزوة أحد حدثت في شوال من العام الثالث للهجرة، وهناك قول نادر أيضا أنها كانت في العام الرابع. أما التاريخ من شوال ففيه اختلاف إذ ذُكر في معظم الكتب اليومُ السابع والخامس عشر، أما ابن إسحاق وابن هشام وابن حزم وابن خياط والطبري فذكروا الخامس عشر فقط. لقد خرج النبي ﷺ من المدينة المنورة يوم الجمعة بعد صلاة العصر، ووصل إلى ميدان أحد يوم السبت قبل أن ترتفع الشمس. أُحد اسم أَحد جبال المدينة، ويقع على بُعد ثلاثة أميال تقريبا من المدينة ويبعد عن المسجد النبوي أربع كيلومترات تقريبا تجاه الشمال، ويقال إن مساكن المدينة المنورة الآن قد وصلت إليه بل توسعت إلى ما حوله أيضا، وهو داخل الحرم، وممتد شرقا وغربا ويقدر طوله بستة كيلومترات ولونه مائل إلى الحمرة.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن غزوة أحد اندلعت في الخامس عشر من شوال يوم السبت من العام الثالث الهجري والحادي والثلاثين من مارس/آذار من عام ٦٢٤م يوم السبت، وكان سبب هذه الغزوة أن قريشا حين واجهوا هزيمة نكراء في بدر جاء إلى أبي سفيان سادتهم كعبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وأسود بن مطلب وجبير بن مطعم وحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزى وغيرهم من الأشخاص البارزين من قريش الذين كانت أموالهم في هذه القافلة التجارية، التي كانت سببا لمعركة بدر. فأَوْدعوا أرباح هذه التجارة، في دار الندوة بحسب العادة السائدة، ولم تسلم لهم أموالهم، لأن أبا سفيان حين جاء بهذه الأموال كان أهل مكة قد خرجوا إلى معركة بدر. وبعد مدة قصيرة من بدر جاء هؤلاء إلى أبي سفيان وقالوا له إن محمدا (ﷺ) قد قَتل كثيرا من رجالنا، لذا يجب أن ننفق أموال التجارة هذه استعدادا للحرب مع محمد (ﷺ) فمن الممكن أن ننجح في أخذ ثأر قتلانا. وقالوا له أيضا إننا مستعدون بكل سرور لأن يُجهَّز جيش من هذه الأموال للتصدي لمحمد (ﷺ). فقال لهم أبو سفيان أنا أتفق معكم على هذا المقترح، وإن بني عبد مناف معي. بعد ذلك فصلت قريش أرباح هذه التجارة البالغة خمسين ألف دينار وأعادوا رأس المال إلى أصحابه، وفي رواية أن قيمة الأرباح كانت خمسة وعشرين ألف دينار. باختصار قد أعطَوا الأرباح الصافية لهذه الحرب.

في هذا الخصوص قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)

وإضافة إلى هذا السبب المهم كانت هناك أمور أخرى يمكن أن تعدّ من دواعي هذه الحرب.

فكما ذكرت في الخطب الماضية أن ذهاب أهل مكة إلى الشام كان قد تعذر عليهم بعد معركة بدر، لأن الطريق التجاري من مكة إلى الشام كان يمر بقرب المدينة، وكان قد سُد من قِبل المسلمين، ومن جراء مظالم قريش السابقة كانت القوافل تواجه صعوبة في المرور من هناك، ومن ثم كان قريش يرون موتهم الاقتصادي. وإن سد الطريق التجاري لقريش وهزيمتهم في المعارك والسرايا وقتل صناديد قريش

في معركة بدر ووقوع سبعين مشركا في أسر المسلمين كانت أمور تشكل نقطة سوداء في حياتهم الاجتماعية وتشوِّه صيتهم، وكانوا يريدون الانتقام بغسل هذه النقطة والحفاظ على صيتهم الاجتماعي، لكي يتمكنوا من تدارك وضعهم السياسي والديني المتدهور. وفي الطرف الآخر واجهت قريش مكة بعد بدر ذلتين مخزيتين مما زاد غيظ أهل مكة وغضبهم بمن فيهم أبو سفيان، وعقدوا العزم على بدء الحرب المسلحة رسميا للانتقام من المسلمين.

فقد كتب أحد الكتّاب: إن من أسباب غزوة أحد أن فشل الكفار في بعض المعارك زادهم حزنا وألما وحنقا وحماسا للانتقام بقوة. وكان أبو سفيان الذي رجع بعِيره التجارية إلى مكة سالما عبر الطرق الآمنة قد صار عرضة للتعيير المستمر من قبل أهل مكة، فأقسم على الانتقام من المسلمين وأكد لقريش أنه سيخرج إلى المدينة وسيقاتل المسلمين قتالا شديدا. فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرَّ بيمينه، ووصل إلى المدينة ولكنه لم يجرؤ على القتال العلني، وإنما قطع في ضواحي المدينة أشجارًا وحرق زروعًا وقتل شخصين وفرّ عائدا. وهذه المهمة الحربية تسمى معركة السويق.

وقد سبق أن بينت تفاصيلها في بعض الخطب السابقة. وكان أبو سفيان يريد بهذه المهمة الحربية ألا يعيره أهل مكة بعد ذلك بأنه قد رجع إلى مكة بالقافلة تاركا أهل قبيلته في ساحة بدر، ولكن الناس بدأوا يعيرونه على هذا التصرف الصبياني في هذه المهمة أيضا، ومن أجل شفاء غليله شرع في إعداد العدة لشن حرب شاملة ضد المسلمين.

لقد سبق الحديث في الخطب الماضية عن هزيمة قريش في مكان يسمى القَرَدة، حيث كانت قريش أرسلت –بعد هذا الهجوم الفاشل الذي قاده أبو سفيان على المدينة– قافلةً تجارية إلى الشام عبر طريق العراق بدلاً من طريق المدينة، وكانت فيها حلي ذهبية وأوان فضية وغيرها من البضائع التي تقدر قيمتها بحوالي مئة ألف درهم. وعندما نزلت هذه القافلة بماء تسمى القردة أوقفَها زيد بن حارثة رضي الله عنها في حدود المدينة، واستولى على كل أموالها التجارية ورجع بها إلى المدينة.

وكانت واقعة القردة بعد الهزيمة النكراء في بدر تمثل هزيمة شديدة لقريش، إذ وقعت واقعة القردة بالقرب من المدينة، فازدادت نار انتقامهم. فكانت هذه الواقعة أيضا من أسباب غزوة أحد.

على كل حال، هناك أمور كثيرة دعت الكفار إلى إعداد العدة للحرب، فدعت قريشٌ القبائل المجاورة لها إلى الانضمام إلى صفوفها. وبيان ذلك أنهم لما جمعوا الأموال لشن حرب حاسمة ضد النبي ﷺ، بدأوا المرحلة التالية للقتال، وهي أنهم اتّبعوا شتى السبل لضم القبائل المجاورة لصفوفهم في هذه الحرب، فزاروا بعضها زيارة فردية وأرسلوا إلى بعضها وفودهم، وأغروا بعضها بالمال، وأججوا بعضها بالحمية الدينية والإقليمية. وبعثوا إلى القبائل هبيرة بن أبي وهب، وعبد الله بن أبي الزبعرة، ومسافع بن عبد

مناف وأبو عزة الجهمي. وأبو عزة الجهمي الذي كان من بين أسارى بدر الذين أطلق النبي ﷺ سراحهم. كان قد توسل إلى النبي ﷺ عندها قائلا:

لي خمس بنات ليس لهن أحد غيري، فاعف عني. فمنّ عليه رسول الله ﷺ بالعفو عنه، بل عفا عنه بدون فدية. هذه هي أسوة النبي ﷺ. فعاهد النبيَّ ﷺ على أن لا يحاربه ولا يظاهر عليه أحدا. ولكنه نكث عهده حين أغراه صفوان بن أمية بالمال، فخرج يحث العرب ضد المسلمين. فكان هؤلاء الشعراء يحرضون بشعرهم القبائل العربية على الانضمام إلى قريش والانتقام من المسلمين بتذكيرهم بماضيهم. فانضمت إلى الكفار بنو كنانة وأهل تهامة وغيرهم من قبائل العرب الكثيرة وأكدت لهم بالإغارة على دولة المدينة، بل خرجت معهم بالفعل.

وبلغ النبيَّ ﷺ خبر استعدادات الكفار الحربية بواسطة العباس ﷺ، وورد في تفصيل ذلك أن خبر استعدادات الكفار وحماسهم للقتال وصل إلى النبيّ ﷺ على يد عمه العباس ﷺ الذي كان مقيما في مكة، وقد أخبره بذلك عبر كِتَاب بعثه مع رجل مِنْ بَنِي غِفَارٍ استأجره لذلك، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى المدينة ثَلَاثة أيام ولياليها بدون انقطاع ويسلّم الرسالة لرَسُول اللّهِ ﷺ. فسافر الرجل ليل نهار، ووصل إلى النبي ﷺ في اليوم الثالث.

وكان رَسُولَ اللّهِ ﷺ بِقُبَاءَ عندها، فَدَفَعَ الرجل إِلَيْهِ الْكِتَابَ، ففضّ ﷺ خاتم الكتاب وسلّمه لأُبَيّ بْن كَعْبٍ ليقرأه عليه، فقرأه، فَأمره النبي ﷺ أن يخفي الخبر.

وورد في مصدر آخر أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت سعد بن الربيع، وأَخْبَرَهُ بِكِتَابِ الْعَبّاسِ ﷺ، وقال إني لأرجو خيرا وعليك أن تخفي هذا الخبر. وكان النبي ﷺ حين جاء إلى بيت سعد كانت زوجته موجودة في البيت، فقالت له ماذا قال لك النبي ﷺ، وكانت تسمع بالحديث الذي دار بينهما. فقال لها سعد: وما لك ولهذا الحديث؟ قالت: لقد سمعت حديثكما. قال سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، لم أكن أظن أنك تستمعين لحديثنا. فجاء بزوجته إلى رسول الله ﷺ وأخبره بأمرها، وقال خفت أن يشيع هذا الخبر بين الناس فتظن أني أنا الذي أفشيت سرك هذا. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ خَلّ سَبِيلَهَا، وأمرها بأخذ الحذر.

لقد اتخذ النبي ﷺ هذه الحيطة من جانبه، ولكن يهود المدينة والمنافقين أشاعوا بين الناس أن محمدا (ﷺ) لم يأته خبر سار. وهكذا وجدوا فرصة أخرى للطعن والتعيير بالمسلمين ولإظهار ما تكن صدورهم من بغض وعداء ضدهم، وسعوا كل السعي لتخويف أهل الإسلام بنشر هذا الخبر بعد ما أضافوا إليه من عندهم ما يحلو لهم. كما انتشر هذا الخبر فيما حول المدينة، وصار الجميع حذرا، وثارت ضجة في كل طرف وصوب أن مشركي مكة قادمون للقتال مرة أخرى.

وقال العلامة عبد البر: كان العباس ﷺ يرسل للنبي ﷺ أخبار مكة في رسالة. كان المسلمون في مكة يرون في العباس سندا لهم، وكان العباس يريد الهجرة إلى المدينة، ولكن الرسول ﷺ كتب إليه أن مكوثه في مكة أفضل. وكانت الأخبار التي يرسلها العباس مفصلة. فقد كتب أَن جيش قريش قد خرج إليك فاصنعْ مَا كُنْت صَانِعًا لمواجهتهم. وعددهم ثلاثة آلاف، أمامهم مائتي فارس، وسبعمائة مدرع، وثلاثة آلاف من الإبل، وقد أحضروا معهم جميع أسلحتهم.

لقد كتب ميرزا بشير أحمد ﷺ في سيرة خاتم النبيين ﷺ عن إطلاع عباس ﷺ ما يلي:

القافلة التجارية التي مر ذكرها في غزوة بدر، كان ربحها البالغ قيمته خمسين ألف دينار، لا يزال محفوظا في دار الندوة لكي يُستخدم للهجوم على المسلمين بحسب قرار رؤساء مكة. الآن سحب هذا المبلغ وبدأت الاستعدادات للحرب بقوة كبيرة. و لم يكن المسلمون يعلمون حتى بهذا الاستعداد وكان جيش الكفار قد وصل إلى أبواب المسلمين، ولكن الرسول الكريم ﷺ بسبب تيقّظه كان قد اتخذ كل الاحتياطات اللازمة، أعني أنه ﷺ طلب من عمه العباس بن عبد المطلب، الذي كان معه من قلبه، أن يقيم بمكة، وهو كان يخبر النبي ﷺ بتحركات قريش.

ففي هذه المناسبة أرسل العباس بن عبد المطلب فارسًا من بني غفار إلى المدينة، على أنه سيعطيه أجرا كبيرا، وأطلع النبي ﷺ على نية قريش بواسطة رسالة، وحث هذا الرسول بشدة على أن يبلغ النبي ﷺ هذه الرسالة خلال ثلاثة أيام. وعندما وصل هذا الرسول إلى المدينة، كان النبي ﷺ في ذلك الوقت أتى حوالي قبا أيْ مكانًا قريبًا من المدينة. فجاء هذا الرسول إليه ﷺ في قبا وسلمه هذه الرسالة. فأعطى النبي ﷺ هذه الرسالة كاتبه أبي بن كعب الأنصاري فورا، وطلب منه أن يقرأ عليه ما فيها. فقرأها أبي، وفيها الخبر الفظيع بخروج جيش قريش من مكة. فلما سمع النبي ﷺ الرسالة أكد لأبي بن كعب أن لا يخبر بمضمونها أحدا.

المهم، قد خرج هذا الجيش، وورد في وصفه أن جيش قريش خرج من مكة في الخامس من شوال، وفي هذه الغزوة كانت قيادة قريش في يد أبي سفيان. وكان المشرف على الفرسان خالد بن الوليد ولواؤهم مع بني عبد الدار. كما أن ثلاثة آلاف من المحاربين، حاملين السيوف، ولابسين الدروع، وحاملين الجُنن والأقواس والسهام، وصدورهم مفعمة بحماس الانتقام، انطلقوا من مكة إلى المدينة للقتال ضد النبي ﷺ. منهم ألفان وتسعمائة من قريش وأتباعهم والقبائل الأخرى، ومائة من بني كنانة. فكانت معهم سبعمائة درع ومائتا فرس وثلاثة آلاف من الإبل كما تقدم. وكانت الإبل التي تُذبح من أجل الطعام في الطريق علاوة على ذلك. كما كانوا أخذوا معهم دفا للعب وكمية كبيرة من الخمر للشرب. ثم جاء في كتاب السيرة أن قريشا حاولت أن تأخذ العباس معهم في هذه المعركة، ولكن العباس اعتذر وذكر تعاون قريش به في غزوة بدر إذ اعتُقل و لم يساعده أحد في إطلاق سراحه. كما أصرت العديد

من النساء على مرافقة الرجال إلى الحرب انتقاما. وعن ذلك قال أحد الأشخاص في مجلس الشورى لهم: ونحن قوم مستميتون لا نريد أن نرجع إلى دارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه، لذلك فإن صحبة النساء ستكون مفيدة لنا، وهن سيحفظنكم ويدفعننا للمضي قدمًا بتذكيرنا بأحداث بدر. وقال نوفل بن معاوية الديلي: هؤلاء النساء شرفنا وكرامتنا، وإذا هُزِمنا افتضحنا في نسائنا. وكانت هناك آراء مختلفة. وكانت هند زوجة أبي سفيان أيضًا موجودة في هذه المناسبة، قالت: أيها الناس (فلما جاء هذان الرأيان من الرجال قالت هذه المرأة): أيها الناس لا تخافوا أن لا تعودوا أحياء. لقد رجعتم من بدر سالمين ورأيتم نساءكم. لا يمكنكم أن تمنعونا من الذهاب إلى هذه الحرب معكم. هذا هو الخطأ الذي ارتكبتموه في بدر عندما رددتم نساءكم. لو كن هؤلاء النساء معكم يوم بدر لدفعنكم للمضي قدما بالتماس حفيظتكم. ولكن للأسف، قد قُتل أحباؤنا الأعزاء على يد أعدائنا في ساحة بدر.

باختصار، وافق زعماء قريش على رأي هند واتفقوا على اصطحاب النساء مع الجيش. وورد أن عدد النساء المرافقات للجيش هو خمس عشرة امرأة، فيهن زوجة أبي سفيان هند بنت عتبة. وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِأُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِبَرْزَةَ بِنْتِ مَسْعُودٍ وَهِيَ أُمّ عَبْدِ اللّهِ بْنِ صَفْوَانَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِرَيْطَةَ بِنْتِ مُنَبِّهٍ، وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ بِسُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدٍ وَهِيَ أُمّ بَنِي طَلْحَةَ مُسَافِعٌ وَالْجُلَاسُ وَكِلَابٌ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ، وَخَرَجَتْ خُنَاسُ بِنْتُ مَالِكٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَالِكٍ مَعَ ابْنِهَا أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهِيَ أُمّ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَخَرَجَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي الْحَارِثِ. وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كُلّمَا مَرّتْ بِوَحْشِيّ أَوْ مَرّ بِهَا، قَالَتْ وَيْهًا أَبَا دَسْمَةَ (وَكَانَ وَحْشِيّ يُكَنّى بِأَبِي دَسْمَةَ) اشْفِ وَاسْتَشْفِ (وَكَانَ مع وَحْشِيّ، وهو عبد حبشي، يملك رمحًا لا يخطئ والذي يصيبه لا يتركه على قيد الحياة. وكان وحشي عبدًا لجبير بن مطعم، فدعاه وقال: اذهب مع الجيش فإن قتلت حمزة أعتقك لأن حمزة قتل عمي طعيمة بن عدي.) فَأَقْبَلُوا حَتّى نَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِبَطْنِ السّبْخَةِ مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي، مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ. (السّبْخَة مكان في المدينة بالقرب من جبل عينين والجرف، والجرف مكان على بعد ثلاثة أميال شمال المدينة المنورة، وعينين جبل تحت أحد بينه وبينه واد، وقَنَاة أحد أودية المدينة الثلاثة المشهورة بين المدينة وأحد. هذا هو موقعه.)

ومما ورد في تفاصيل المعركة أن العباس أطلع رسول الله ﷺ على جيش قريش، وأبلغ عمرو بن سالم رسول الله ﷺ بخروج المشركين من مكة، مما أفقد أبا سفيان وعيه لأنه علم بذلك. ما حدث هو أن عمرو بن سالم انفصل مع بعض أصحابه عن جيش قريش من مكان ذي طوى ووصل سريعًا إلى المدينة وأخبره بتقدم جيش الكفار. وفي طريق العودة من المدينة، تقدم جيش عمرو بن سالم هذا على جيش أبي سفيان. (أي حيث كان أبو سفيان ليلاً، عبرهم من هناك.) ولما أصبح أبو سفيان رجع إلى مكة.

وأُخبر أبو سفيان في الطريق أن عمرو بن سالم خرج في بعض أصحابه إلى مكة ليلاً. قال أبو سفيان بعصبية: أَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ جَاءُوا مُحَمَّدًا فَخَبَّرُوهُ بِمَسِيرِنَا، وَحَذَّرُوهُ... فَهُم الْآنَ يَلْزَمُونَ صَيَاصِيَهُمْ فَمَا أَرَانَا نُصِيبُ مِنْهُمْ شَيْئًا فِي وَجْهِنَا ولن ننجح في مرامنا. فَقَالَ صَفْوَانُ بن أميّة فورا: إِنْ لَمْ يَصْحَرُوا لَنَا عَمَدْنَا إِلَى نَخْلِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَقَطَعْنَاهُ .. فَلَا يَجْتَبِرُونَهَا أَبَدًا، وَإِنْ أَصْحَرُوا لَنَا فَعَدَدُنَا أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِهِمْ وَسِلَاحُنَا أَكْثَرُ مِنْ سِلَاحِهِمْ وَلَنَا خَيْلٌ وَلَا خَيْلَ مَعَهُمْ وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَلَى وِتْرٍ عِنْدَهُمْ وَلَا وِتْرَ لَهُمْ عِنْدَنَا. (إذن، فقد أبدى أفكاره على هذا النحو)

لما خرجت قريش إلى المدينة نزلوا بالأبواء فقالت هند بنت عتبة لأبي سفيان: أوَبحثتم قبر أمِّ محمد فإنها بالأبواء، فإن أسر أحدا منكم فديتم كل إنسان بإرب من آرابها. (كم هي فكرة شيطانية) فذكر ذلك لقريش وقال: هذا الرأي، فقالت قريش: لا تفتح هذا الباب لئلا تفتح بنو بكر موتانا، فلا تقبلوا هذا الرأي لأنه رأي خطير.

باختصار، حيثما أقاموا في الطريق ذبحوا الإبل وحرّضتهم النساء بإنشاد الأبيات وقدمن الكؤوس المترعة بالخمر وقرأن المراثي وقمن بالنياح وخوّفن الآخرين وحرّضنهم على الانتقام. ظلت قافلة قريش هذه تتقدم على هذا النحو. ومن جانب آخر كان المسلمون أيضا مستعدين. فقد ورد بهذا الشأن:

بعث رسول الله ﷺ أنسا ومؤنسا ابنَي فضالة ليلة الخميس لليال مضت من شوال عينين. لعل النبي ﷺ أمر بهذه المناسبة للإطلاع على عدد المسلمين وقوتهم بالقيام بإحصاء المسلمين كلهم. فتبين نتيجة الإحصاء أن عدد المسلمين حينذاك كان قد بلغ ١٥٠٠ نفر. وقد عُدّ هذا العدد كبيرا نظرا إلى الظروف حينذاك. فقال بعض الصحابة بشدة الفرح: لا نخاف أحدا وقد بلغ عددنا ألفا وخمسة مئة. وقال أحدهم: قد أتانا زمن قاس حين كنا مضطرين لأداء الصلاة مختفين. وذات مرة أمر النبي ﷺ بالإحصاء وكان عدد المسلمين عندئذ بين ست مئة وسبع مئة نفر.

الصحابيين اللذين أرسلهما النبي ﷺ للاطلاع على أخبار قريش، اعترضا لقريش بالعقيق، وعادا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه بخبرهم. (علما أن هناك أكثر من واد باسم العقيق في جزيرة العرب وأهمها الوادي العقيق الذي في المدينة ويمتد من جنوب غربي المدينة إلى الشمال الشرقي كما تنضم إليه وديان المدينة كلها) على أية حال: أخبرا النبي ﷺ عند العودة: إن جيش الكفار قد خلّوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض. (العريض نخل على بُعد ثلاثة أميال من المدينة) حتى تركوه ليس به خضرٌ. نزل المشركون ببطن السبحة من قناة على شفير الوادي، يوم الاربعاء، فرعتْ إبلهم آثار الحرث والزرع يوم الخميس ويوم الجمعة، لم يتركوا خضراء. ثم بعث رسول الله ﷺ الحباب ابن المنذر أيضا إليهم، فنظر إليهم وعاد وقد حزر عددهم وما معهم. فقال رسول الله ﷺ: "لا تذكر من شأنهم حرفا، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول".

وباتت وجوه الأوس والخزرج، سعد بن معاذ وأُسيد بن الحضير وسعد بن عبادة ليلة الجمعة عليها السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ، خوفا من بيات المشركين، وحرست المدينة حتى أصبحوا.

نزل جيش مشركي مكة -قبل خروج المسلمين- بأرض وادي قناة المالحة والوحلية. كانت في شرق المدينة وغربها وجنوبها نخل، فلم يكن الهجوم بقرية أو بحارة مرورا بها سهلا لأنه كان يمكن أن يمر بها بالكاد رجل واحد من العدو. وفي هذه الحالة كان هلاك المهاجمين سهلا. وكان شنّ الهجوم ممكنا من جانب الشمال فقط لذا نزلت قريش في الشمال والجنوب. ثم لم تكن الوحدات السكنية كلها في مكان واحد، بل كانت الوحدات السكنية والحارات منتشرة في ميدان واسع بين الجبال. وكانت بعض القبائل قد دبّروا سكنهم قرب أراضيهم وبساتينهم. وبنوَا صياصي ذات طابقين أيضا. وكانوا يوصلون الأولاد الصغار والنساء إلى الطابق العلوي لتلك الصياصي كلما داهمهم الخطر فكانوا يتفرغون لمواجهة المهاجمين.

يقول كاتب آخر للسيرة: أصبح جيش العدو بين جيش المسلمين والمدينة التي لم يبق فيها سوى المنافقين اليهود، والمسلمين غير القادرين على القتال، والنساء والأطفال.

يقول مرزا بشير أحمد ﷺ في بيان ذلك: لعلّ قافلة قريش خرجت من مكة في نهاية شهر رمضان في العالم الثالث من الهجرة أو في بداية شهر شوال. وكان الجيش يضم عددا لا بأس به من بواسل القبائل العربية الأخرى وكان أبو سفيان قائد الجيش الذي كان عدده ثلاثة آلاف، وفيهم سبع مئة مدرّعون إلى جانب المطايا بعدد لا بأس به، أي مئتي فرس وثلاثة آلاف من الإبل. وكانت عندهم أسلحة كثيرة أيضا. كانت تصحبهم النساء أيضا بمن فيهن هند زوجة أبي سفيان وزوجات كل من عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وخالد بن وليد وغيرهم. وقد جاءت هؤلاء النساء -بحسب تقاليد العرب القديمة- بآلات العزف والغناء ليُحمِّسن رجالهن بإنشاد الأبيات المثيرة والضرب على الدفوف. وصل جيش قريش قرب المدينة بعد السفر إلى عشرة أو أحد عشر يوما ونزل قرب جبل أُحد شمال المدينة. وبالقرب من هذا المكان يقع الميدان العريض الواسع والأخضرُ حيث كانت مواشي سكان المدينة ترعى وكانت بعض الأراضي تُزرَع أيضا. أغارت قريش على هذه المراعي قبل كل شيء وعاثوا فيها فسادا كما بدا لهم. ولما علم النبي ﷺ بواسطة الجواسيس باقتراب الجيش أرسل صحابيه الحباب بن المنذر ليعلم عن عدد العدو. وقال ﷺ له أيضا: إذا كان عدد العدو كبيرا وكان الوضع خطيرا على المسلمين - كما سبق الذكر- فلا تذكر ذلك لأحد بل أخبرني فقط بمعزل من الناس لئلا تتثبط همم المسلمين. فاختار الحباب بن المنذر بكل ذكاء طريقا كان خافيا على الناس وعاد بعد هنيهة وأخبر النبي ﷺ بالأخبار كلها.

كان قد انتشر في المدينة المنورة خبر وصول جيش قريش، كما انتشرت أخبار غارتهم على العريض وكيف أنهم دمّروا بستان النخيل هناك، إلا أنه لم يتم إطلاع عامة الناس عن جيش الكفار بشكل تفصيلي، مع ذلك قد مضت تلك الليلة في المدينة المنورة في حالة من الخوف والخطر الشديد. وظل بعض الخواص من الصحابة يحرسون بيت النبي ﷺ طوال الليل.

ولما تمت الاستشارة بخصوص الاستعداد لغزوة أحد قال النبي ﷺ خلال ذلك: رأيت الليلة في منامي بقرا تذبح، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم، وفي رواية رأيت سيفي انقصم من عند ظبته، وفي رواية رأيت الثلم في ذباب سيفي، وهما مصيبتان، ثم رأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، وفي رواية رأيت وكأنّي لابس دِرعا حَصينة، وأني مردف كبشا.

سأل الصحابة النبي ﷺ: فكيف فسرتها يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: أما البقَر المـــــَذبوح، فأولته باستشهاد بعض مِن أصحابي، وفي رواية قال: أوّلت البقر المذبوح باستشهاد بعض منا. وأما الثلم في سيفي ففيه إشارة إلى رجل يُقتل من أهل بيتي أو من أسرتي، وفي رواية قال إن الفلول في حد سيفي تعني أن هذه الخسارة لن تتعرضوا لها، أي لن يلحق هذا الضرر لأحد خارج أهل بيتي وأسرتي.

لقد استُخدمت هنا كلمة الفلول ومعناها إما الثلم في ذباب السيف أو حدوث الكسر في مقبضه وانقصامه، وهذا يدل على حدوث حادثتين اثنتين. أما الدِّرع الحصينة فهي المدينةُ، والمراد من ركوبي الكبش هو أنني أقتل بعض أنصار العدو.

على أية حال، لقد طلب النبي ﷺ المشورة حول الأمر المذكور فيقول ابن عتبة وابن اسحاق وابن سعد وغيرهم إن النبي ﷺ رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح جاء أصحابَه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم ذكر الرؤيا لهم وقال: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ونجعل النساء والذرية في الآطام، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة فنحن أعلم بها منهم، ورُمُوا من فوق الصياصي والآطام، وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن، وكان هذا الذي ذكره رسول الله ﷺ رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، وكان عبد الله بن أبي يرى رأي رسول الله ﷺ، فقالت جماعة من المسلمين غالبهم أحداث لم يشهدوا بدرا، وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم، فقال عبد الله بن أبي: يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا.

فقال حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة، والنعمان بن مالك: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثمائة رجل، فظفرك الله تعالى عليهم، ونحن اليوم بشر كثير.

وقال إياس بن أوس بن عتيك، نحن بنو عبد الأشهل، لنرجو أن نكون البقر المذبح. (أي قال هؤلاء – عما رآه النبي ﷺ في المنام أن بقرًا يُذبح– إننا نأمل أن نكون ذلك البقر المنحّرة)

وقال غيره: هي إحدى الحسنيين: الظفر أو الشهادة، والله لا تطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا.

وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة.

وكان يوم الجمعة صائما ويوم السبت صائما، ولما استشهد كان صائمًا.

وقال النعمان بن مالك: يا رسول الله لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنّها.

فقال رسول الله ﷺ: وكيف ذلك؟ قال: لأني أحب الله تعالى ورسوله، وفي رواية قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولا أفر يوم الزحف.

فقال رسول الله ﷺ: "صدقت". فاستُشهد يومئذ.

وحث مالك بن سنان الخدري وإياس بن عتيك وجماعة على الخروج للقتال.

كتب المرزا بشير أحمد رضي الله عنه في كتابه "سيرة خاتم النبيين" تفصيله وقال:

لقد جمع النبي ﷺ أصحابه وطلب منهم المشورة ما إذا كان عليهم انتظار هجوم قريش في المدينة المنورة أو أن يحاربوها في الخارج. وقبل استشارتهم ذكر لهم النبي ﷺ أمورًا عن هجوم قريش ونواياهم الدموية وقال: رأيت الليلة رؤيا بهذا الخصوص ثم حكى لهم هذه الرؤيا التي مرّ ذكرها آنفًا، فلما سأله بعض الصحابة عن تفسيرها قال ﷺ: أرى أن المراد من ذبح البقرة هو أن بعضًا من صحابتي سيُستشهدون، أما الثلم في سيفي فلعله يشير إلى استشهاد أحد أقاربي أو أنا شخصيًّا سأتعرض لأذى خلال هذه المهمة، أما إدخالي يدي في الدرع فأرى أن الأنسب لنا البقاء في المدينة للدفاع عن هذا الهجوم. أما ركوب الكبش في المنام فأرى أن المراد منه أنه سيقتل على يد المسلمين زعيم الكفار حامل لواء الحرب فيهم.

وبعد ذلك طلب النبي ﷺ المشورة من الصحابة فيما ينبغي التصرف في الوضع الحالي. وكما ذُكر آنفا أن الصحابة أشاروا عليه –إما تأثرًا برؤيا النبي ﷺ أو نظرًا إلى الأوضاع– أن يواجهوا العدو بالبقاء داخل المدينة.

لقد أعجب النبي ﷺ بهذا الرأي إلا أن أكثر الصحابة –ولاسيما الشباب منهم الذين لم يشتركوا في غزوة بدر وكانوا يلتاعون لاقتناص فرصة خدمة الدين باستشهادهم– أصروا على الخروج من المدينة ومواجهة العدو في الميدان المكشوف. لقد أصرّ هؤلاء وقدّموا رأيهم بإصرار حتى قَبِل النبي ﷺ قولهم نظرًا لحماسهم وأصدر قراره بمواجهة الكفار في الميدان خارج المدينة. ثم حث المسلمين عامة بعد صلاة الجمعة أن يشتركوا في هذه الغزوة وينالوا الثواب.

سأتناول تفاصيل بقية الأمور لاحقًا إن شاء الله.

استمروا في الدعاء للفلسطينيين، فبعد انتهاء الهدنة سيتم قصفهم بشكل عشوائي مرة أخرى وسيسقط الأبرياء شهداء. والله أعلم كم سيقع الظلم مزيدًا. إن نوايا القوى العظمى في المستقبل لخطيرة للغاية. ولذلك لا بد من كثرة الدعاء لهم رحمهم الله.